المبحث السابع

مسألة رؤية الله تعالى

يوم القيامة

- موقف المعتزلة من الرؤية
- موقف الأشاعرة
- رد أهل السنة والجماعة على المعتزلة

المبحث السابع
مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة

- موقف المعتزلة من الرؤية:

موقف المعتزلة من مسألة رؤية الله عز وجل: ينكر الجهمية والمعتزلة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فقد اتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة.

قال الأشعري: وأجمعت المعتزلة على أن الله تعالى لا يُرى بالأبصار[١].

وقد استدل المعتزلة بعدة أدلة على قولهم بنفي رؤية الله تعالى بالأنصار يوم القيامة من هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير**﴾ [الأنعام:١٠٣]. بمعنى قول الله تعالى لا تدركه الأبصار، أي لا تراهُ الأبصار، ومعنى ذلك أن الله تعالى نفى عن نفسه إدراك الأبصار له كما زعم المعتزلة والجهمية.

موقف الأشاعرة من الرؤية:

يثبت الأشاعرة رؤية المؤمنين لربهم عز وجل في الجنة يوم القيامة. يقول إمام الحرمين الجويني الأشعري: مذهب أهل الحق أن الباري سبحانه يجوز أن يُرى[٢] ويعتمد الأشاعرة في رأيهم على جواز الرؤية على أساس معتقدهم بأن كل موجود يمكن أن يُرى فإذا تقرر بضرورة العقل أن الإدراك لا يتعلق إلا بالوجود، وحقيقته لا تختلف، فإذا رؤي موجود لزم تجويز رؤية كل موجود، كما أنه إذا رُؤي جوهر، لزم تجويز رؤية كل جوهر[٣].

---

(١) الأشعري، مقالات، جـ١، ص٢٨٩.

(٢) الجويني، كتاب الإرشاد، ص١٦٤.

(٣) مرجع سابق، ص١٦٥.

ويقول الإمام الأشعري في إثبات رؤية الله -تعالى- بالأبصار في الآخرة[1]: قال الله عز وجل: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة** (يعني: مشرقة) **إلى ربها ناظرة** (يعني رائية)﴾ وليس يخلو النظر من وجوه نحنُ ذاكروها: إمَّا أن يكـــون الله عز وجل عني نظر الاعتبار لقوله تعالى: ﴿**أفلا ينظرونَ إلى الإبـــل كـــيف خلقت**﴾ أو يكون عني نظر الانتظار لقوله: ﴿**ما يـــنظرون إلا صـــيحة واحدة**﴾ أو يكون عني نظر الرؤية فلا يجوز أن يكـــون الله -عز وجل- عني نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار اعتبار ولا يجوز أن يكون عني نظر الانتظار لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناهُ نظر العينين اللتين في الوجه كما إذا فكر أهل اللسان نظـــر القلب فقالوا انظر في هذا الأمر بقلبك لم يكن معناهُ نظر العينين ولذلـــك إذا ذكـــر النظر مع الوجه لم يكن معناهُ نظر الانتظار الذي بالقلـــب وأيضًا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير وأهل الجنة لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أوتوا به مع خطوره ببالهم، وإذا كـــان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر التعطف لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على خالقهم وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله إلى ربها ناظرة أنها رائية ترى ربها -عز وجل- مما يبطل قول المعتزلة أن الله عز وجل أراد بقوـــله: إلى ربهـــا ناظرة، نظر الانتظار، أنه قال إلى ربها ناظرة ونظر الانـــتظار بهـــا لا يكونُ مقرونًا بقوله إلى لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار إلى ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ما ينظرون

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، ص١٣ وما بعدها باختصار.

إلا صيحة واحدة لم يقل إلا إذا كان معناهُ الانتظار، وقال عن بلقيس: ﴿فناظرة بم يرجعُ المرسلون﴾ فلمّا أرادت الانتظار لم تقل إلى: وقال امرؤ القيس:

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلمَّا أرادَ الانتظار لم يقل إلى فلمَّا قال عز وجل إلى ربها ناظرة علمنا أنه لم يرد الانتظار وإنما أراد نظر الرؤية ولما قرن الله النظرَ بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال: ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك**﴾ ، فذكر الوجه وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه بصرف الله له عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة (فإن قال قائل) لم لا تقولون أن قوله تعالى: إلى ربها ناظرة إنما أراد ثواب ربها ناظرة؟ قيل له ثواب الله عز وجل غيره تعالى والله تعالى قال إلى ربها ناظرة والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة وإلا فهو على ظاهره ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صلوا لي واعبدوني لم يجز أن يقول قائل أنه أراده غيره ويزيل الكلام عن ظاهره فلذلك لما قال إلى ربها ناظرة لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة. ثم يقال للمعتزلة إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل إلى ربها ناظرة إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة فلم ما جاز لغيركم أن يقول أن قول الله عز وجل لا تدركه الأبصار أراد بها لا تدرك غيره، ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا ما لا يقدرونَ على الفرق فيه.

(**ودليل آخر**) ومما يدل على أن الله تعالى يرى بالأبصار قول موسى: ﴿**رب أرني أنظر إليك**﴾ ولا يجوز أن يكون موسى عليه السلام الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين وعظمه بما عظم به المرسلين فيسأل ربه ما يستحيل عليه وإذا لم يجز ذلك على موسى فقد

علمـــنا أنه لم يسأل ربه مستحيلاً وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا كما زعمت المعتزلة و لم يعلم ذلك موسى عليه السلام وعلموا هم لكانوا على قولهم أعلمُ بالله من موسى عليه السلام، وهذا ما لا يدعيه مسلم.

(**دلـــيل آخر**) مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قوله تعـــالى لموسى: ﴿**فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾ فلمَّا كان الله عز وجل قادرًا على أن يجعل الجبل مستقرًا كان قادرًا على الأمر الذي لو فعله لرآه موسى فدل ذلك على أن الله تعالى قادر على أن يري عباده نفســـه، وأنه جائز رؤيته (فإن قال) فلم ما قلتم أن قول الله تعالى فإن اســـتقر مكانه فسوف تراني تبعيد للرؤية؟ قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه و لم يقرنه بما يجوز وقوعه فـــلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه دل ذلك على أنـــه جائز أن يرى الله عز وجل، ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعيد صلحها لمن كان حربًا لأخيها قرنت الكلام بمستحيل فقالت:

ولا أصالحُ قومًا كنتُ حربهم حتى تعود بياضًا حلكة القاري

والله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها ونحنُ نرجع إلى ما نجده مفهومًا في كلامها ومعقولاً في خطابها فلما قرن الله الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غيرُ مستحيلة.

(**ودليل آخر**) قال عز وجل: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾. قـــال أهلُ التأويل الزيادة النظرُ إلى الله عز وجل و لم ينعم الله عز وجل عـــلى أهل جناته بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له وقال عز وجل: ﴿**ولدينـــا مـــزيد**﴾ قيل: النظرُ إلى الله عز وجل. وقال: ﴿**تحيتهم يوم يلقونه سلام**﴾ . وإذا لقيه المؤمنون رأوهُ وقال الله: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ . فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين.

(سؤال) فإن قال قائل: فما معنى قوله لا تدركه الأبصار؟ قيل له: يُحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات يكون في أفضل الدارين، ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله لا تدركه الأبصار يعني لا تدركه أبصارُ الكافرين المكذبين، وذلك أن كتاب الله يصدقُ بعضه بعضًا، فلما قال في آية: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة**﴾ ، وقال في آية أخرى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ علمنا أنه إنما أراد أبصار الكفار لا تدركه.

فإن قال قائل: قد استكبر الله سؤال السائلين له أن يرى بالأبصار.

فقال: ﴿**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة**﴾ فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى وترك الإيمان به حتى يروا الله؛ لأنهم قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فلما سألوهُ الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابًا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلاً، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابًا.

(**دليل آخر**) ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار ما روتهُ الجماعات من الجهات المختلفة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ترون ربكم كما ترونَ القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**» والرؤية إذا أطلقت إطلاقًا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا الرؤية بالعيان ورويت الرؤية عن رسول الله ﷺ من طرق مختلفة: عدة رواتها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي ﷺ قال: «**لا وصية**

لـوارث». ومـن عدة رواة المسح على الخفين، ومن عدة رواة قول رسول الله ﷺ لا تنكحُ المرأة على عمتها ولا خالتها. وإذا كان الرجمُ ومـا ذكرناهُ سننًا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة لكثرة رواتها ونقلتها يرويها خلف عن سلف.

(**دليل آخر**) ومما يدل على رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيًا فهو يرى الأشياء من لا يرى نفسه وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئًا، فلما كان الله عز وجل عالمًا بالأشياء كان عالمًـا بنفسه فلذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء فلما كان -عز وجل- رائيًا للأشياء كان رائيًا لنفسه، وإذا كان رائيًا لها فجائز أن يرينا نفسه كما أنه لما كان عالمًا بنفسه جاز أن يعلمناها وقد قال الله تعالى: ﴿**إنـني معكما أسمعُ وأرى**﴾ . فأخبر أنه سمع كلامهما ورآهما ومن زعـم أن الله عز وجل لا يجوزُ أن يرى بالأبصار يلزمهُ أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائيًا عالمًا ولا قادرًا؛ لأن العالم للقادر للرائي جائز أن يرى. فإن قال قائل: قول النبي ﷺ ترون ربكم يعني تعلمون ربكم اضـطرارًا، قيل له أن النبي ﷺ قال لأصحابه هذا على البشارة، فقال فكـيف بكـم إذا رأيتم الله -عز وجل-؟. ولا يجوز أن يبشرهم بأمر يشـركهم فيه الكفار على أن النبي ﷺ قال: ترونَ ربكم وليس يعني رؤية دون رؤية بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.

وقـد احتجت المعتزلة في أن الله -عز وجل- لا يُرى بالأبصار بقولـه عـز وجل: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ . قالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿**وهو يدرك الأبصار**﴾ على قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ وكـان قوله: ﴿**وهو يدركُ الأبصار**﴾ على العموم أنه يدركها في الدنـيا والآخـرة، وأنه يراها في الدنيا والآخرة. كان قوله لا تدركه

الأبصـــار دليلاً على أنها لا تراهُ الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في عمـــوم قولـــه وهـــو يدركُ الأبصار لأن أحد الكلامين معطوف على الآخـــر. قيل لهم فيجب إذا كان عموم القولين واحدًا وكانت الأبصار أبصـــار العيون وأبصار القلوب لأن الله -عز وجل-، قال: ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور**﴾ ، وقال: ﴿**أولي الأيـــدي والأبصار**﴾ أي فهي بالأبصار فأراد أبصار القلوب هي التي يقصـــدُ بها المؤمنون الكافرين، ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته، يـــريدونَ بصير العلم بها ويقولون قد أبصرتُه بقلبي كما يقولون أبصرتُه بعـــيني فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ ، في العموم، كقوله: ﴿**وهو يدركُ الأبصـــار**﴾ لأن أخـــذ الكلامـــين معطوف على الآخر وجب عليهم بحجتهم أن الله عز وجل لا يدرك بأبصار العيون، ولا بأبصار القلوب؛ لأن قولـــــه: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ في العموم، كقوله: ﴿**وهو يدركُ الأبصار**﴾ ، وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ أخص من قوله: ﴿**وهو يدركُ الأبصار**﴾، وانتقض احـــتجاجهم قيل لهم أنكم زعمتم أنه لو كان قوله لا تدركه الأبصار خاصًا في وقت دون وقت؛ لكان قوله: ﴿**وهو يدركُ الأبصار**﴾ خاصًا في وقـــت دون وقت وكان قوله: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، وقوله: ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ ، وقوله: ﴿**لا يظلمُ الناس شيئًا**﴾ وفي وقت دون وقت فإن جعلتم قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ خاصًا رجع احتجاجكم علـــيكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ خاصًا و لم يجـــب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم أن يكون قوله -عز وجل-: ﴿**لا تدركـــه الأبصار**﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة، كما أن قوله: ﴿**لا تدركـــه الأبصار**﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب

ذلـــك تخصـــيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها فإن قالوا قوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ يوجب أنه لا يدرك بها في الدنيا والآخرة وليس نفي ذلـــك أن نراهُ بقلوبنا ونبصره بها ولا ندركه بها قيل لهم فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بأبصار العيون ولا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نرهُ بها فرؤيتنا له بالعيون وأبصارنا له بها ليس بإدراك له بها كما أن أبصارنا بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له، فإن قالوا رؤية البصر هي إدراك البصـــر قيل لهم ما الفرق بينكم وبين من قال أن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياهُ ليس بإحاطة، ولا إدراك فما أنكرتم أن تكون رؤية العيون وأبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك.

(**جواب**) ويقالُ لهم: إذا كان قول الله -عز وجل-: ﴿**لا تدركه الأبصـــار**﴾ في العمـــوم كقولـــه: ﴿**وهو يدركُ الأبصار**﴾ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر فخبرونا أليس الأبصار والعيون لا تدركه رؤيـــة ولا لمسًا ولا ذوقًا ولا على وجه من الوجوه؟. فإن قالوا: نعم. فـــيقالُ لهم: أخبرونا عن قوله -عز وجل-: ﴿**وهو يدركُ الأبصار**﴾ أتزعمونَ أنه يدركها لمسًا وذوقًا بأن يلمسها؟ فإن قالوا: لا. يقالُ لهم: فقد انتقض قولكم: أن قوله وهو يدركُ الأبصار في العموم كقوله: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ .

(**سؤال**) إن قال قائل منهم أن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصـــر للقلب قيل له. ولم زعمتَ هذا وقد سمى أهلُ اللغة بصر القلب بصرًا كما سموا العين بصرًا؟ وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصـــر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين وإذا لم يجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

(جـــواب) ويقالُ لهم حدثونا عن قول الله -عز وجل-: ﴿**وهو يـــدركُ الأبصار**﴾ ما معناهُ؟ فإن قالوا: معنى يدرك الأبصار أنه يعلمها قـــيل لهم. وإذا كان أحد الكلامين معطوفًا على الآخر، وكان قوله عز وجـــل وهو يدركُ الأبصار معناهُ يعلمها فقد وجب أن يكون قوله لا تدركـــه الأبصار لا تعلمهُ وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار فإن قالوا معنى قوله وهو يدركُ الأبصار أنه يراها رؤية ليس معناها العلم. قيل لهم فالأبصار التي في العيون يجوزُ أن ترى فإن قالوا: نعم. ينقضوا قولهم: أنا لا نـــرى بالبصـــر، إلا من جنس ما يرى الساعة فإن جاز أن يرى الله وكـــل ما ليس من جنس المرئيات، وهو الإبصار في العين فلم يجوز أن يرى نفسه، وإن لم يكن من جنس المرئيات و لم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكـــن مـــن جنس المرئيات؟ ويقالُ لهم: حدوثًا إذا رأينا شيئًا فبصرناهُ أو إنما يراهُ الرائي دون البصر، فإن قالوا إنه محال أن يرى البصر الـــذي في العين فيقالُ لهم الآية تنفي أن تراهُ الأبصار ولا تنفي أن يراهُ المبصـــرونَ وإنما قال -عز وجل-: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ فهذا لا يدلُ على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية.

ويؤيـــد الإمـــام أبو المظفر الإسفراييني الإمام الأشعري في وجهة نظره في رؤية الله تعالى بالأبصار ويكاد يذكر باختصار أدلة الأشعري في جواز الرؤية من خلال الكتاب والسنة، فيذكر ذات الآيات الكريمة التي تؤكد جواز الرؤية فيقول الإسفراييني في «التبصير في الدين»:

« إن القـــديم -سبحانه- يرى ويجوزُ رؤيته بالأبصار، لأنه ما لا تصـــح رؤيته لم يتقرر وجوده كالمعدوم. وكل ما صح وجوده جازت رؤيته كسائر الموجودات. ودلائل هذه المسألة في كتاب الله كثيرة منها

قوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [١]، واللقاء إذا أطلق في اللغة وقع على الرؤية خصوصًا حيث لا يجوز فيه التلاقي بالذوات والتماس بينهما. ومنها قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ [٢]. ومنها قوله: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهقُ وجوههم قترٌ ولا ذلة أولئك أصحابُ الجنة هم فيها خالدون﴾ [٣] ولا زيادة على نعيم الجنة غير رؤية الرب جل جلاله. وقد ورد عن الرسول ﷺ تفسير هـذه الآية بذلك ومنها قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ [٤] ولو لم تكن الرؤية جائزة لكان لا يتمناها من هو موصوف بالنبوة وأيضًا فإنه سبحانه وتعالى قال في جوابه: ﴿لن تراني﴾ ولم يقل لن أرى، وفيه دليل على أنه يصح أن يرى لأنه لو كان لا يصح رؤيته لكان يقول لن أرى، ولما خص نفي الرؤية بـه. ومنها قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [٥] يبين أن جميع الأبصار لا تدركه. مفهومه أن بعضها يدركه. ثم بين الله سبحانه من يدرك ومن لا يدرك فقال: ﴿وجوهٌ يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ [٦] وأن الوجوه الباسرة محجوبة عنه كما فرق بين الفريقين في قوله: ﴿يوم تبيضُ وجوه وتسودُ وجوه﴾ [٧]. فالوجوه السود محجوبة

---

(١) الأحزاب: ٤٤.

(٢) القيامة: ٢٢-٢٣.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

(٥) الأنعام: ١٠٣.

(٦) القيامة: ٢٢،٢٣.

(٧) آل عمران: ١٠٦.

عـــنه، والوجـــوه البـــيض الناضرة ناظره إليه، ثم أن النبي ﷺ خص لأصحابه هذه الحالة، فقال: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترونَ القمر ليلة البدر لا تضامونَ في رؤيته، وفي الحديث قيد عليه آية الرؤية فكأنـــهُ قال: لا تدركه الأبصار في غير يوم القيامة وتدركه يومئذ فإن المطلق يحمل على المقيد.

رد أهل السنة والجماعة على المعتزلة:

رد العلامـــة ابن القيم على المعتزلة ردًا قويًا مفحمًا، حيث قال: قـــرر شيخنا ابن تيمية وجه الاستدلال بالرؤية بهذه الآية: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدركُ الأبصار**﴾ أحسن تقرير وألطفه، وقال لي أنا ألتزم أنـــه لا يحـــتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدلـــيل مـــا يدلُ على نقيض قوله فمنها هذه الآية، وهي على جواز الـــرؤية أدل منها على امتناعها. فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق الـــتمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكونُ بالأوصاف الثبوتية، وأمّا العدمُ المحض فليس بكمال ولا يمدح به، وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضـــمن أمـــرًا وجوبيًا كتمدحه بنفي السِّنة والنوم المتضمن كمال القيومـــية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضـــمن كمـــال القـــدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضـــمن كما ربوبيته وألهيته وقهره، ونفي الأكل، والشرب المتضمن كمال الصمدية والغنى، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحـــيده وغـــناهُ عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغـــناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهـــذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًا، فإن المعدوم

يشارك الموصوف في ذلك العدم. ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعـــدوم فيه، فلو كان المراد بقوله: (**لا تدركه**) أنه لا يرى بحال، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال، لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار، والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض، فإذًا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به إلى أن قـــال —رحمه الله—: فقوله: (لا تدركه الأبصار) يدلُ على غاية عظـــيمة وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يُدرك بحيث يحاطُ به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية[١].

واســـتدل المعتزلة بآية الأعراف على نفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حيث يقول تعالى: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربي أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلمَّا تجلَّى ربُه للجبل جعله دكًا وخرَّ موسى صَعقًا فلمَّا أفاقَ قال سبحانك تُبتُ إليك وأنا أوَّلُ المؤمنين**﴾[الأعراف:١٤٣].

يقـــول المعـــتزلة: إن لن تفيد التأبيد، وإن موسى عليه السلام لما أفاقَ قال: سبحانك أي: أنزهك عما لا يجوزُ عليك، وأنه قد تاب مما وقع منه وهو طلب الرؤية[٢].

ويقـــول أبـــو القاسم البلخي المعروف بالكعبي المعتزلي: المعتزلة مجمعة على أن الله جل ذكره شيء لا كالأشياء. وإن شيئًا من الحواس لا يدركه في دنيا ولا آخرة[٣].

---

(١) ابن القيم، حادي الأرواح، ص٢٠١.

(٢) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٢٦٤.

(٣) القاضـــي عـــبد الجـــبار، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية، ١٣٩٣هـــ، ص٦٣.

وسبب قولهم بنفي الرؤية هو زعمهم بأن إثبات الرؤية يؤدي إلى أن يكون الله سبحانه وتعالى جسمًا محدودًا في جهة ومكان مخصوص.

ويرد شارح الطحاوية على استدلال المعتزلة بآية الأعراف قائلاً: وأمَّا دعواهم تأبيد النفي بلن، وأن ذلك يدلُ على نفي الرؤية في الآخرة فكيف إذا أطلقت قال تعالى: ﴿**ولن يتمنوه أبدًا**﴾ [البقرة:٩٥]، مع قوله: ﴿**ونادوا يا مالكُ ليقضي علينا ربُّك**﴾ [الزخرف:٧٧]. ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها. وقد جاء ذلك. قال تعالى: ﴿**فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي**﴾ [يوسف:٨٠]، فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد[١].

أمَّا الإمام ابن القيم فقد رد على المعتزلة ردًا عنيفًا وقال لهم: أن (لا) تفيد طول النفي، أمّا (لن) فتفيد قصره، وقال: من أجل ما تقدم من قصور معنى النفي في (لن) وطوله في (لا) يُعلم قصور المعتزلة في فهم كلام الله حيث جعلوا (لن) تدل على النفي على الدوام، واحتجوا بقوله: ﴿**لن تراني**﴾ وعلمتُ بهذا أن بدعتهم الخبيثة حالت بينهم وبين فهم كلام الله كما ينبغي. وهكذا كل صاحب بدعة تجده محجوبًا عن فهم القرآن[٢].

وأمَّا قولُ موسى: ﴿**تُبتُ إليك**﴾ فالحقيقة أن هذه التوبة ما كانت عن معصية على الإطلاق، قال مجاهد في قوله: (**تبت إليك**) من مسألة الرؤية في الدنيا، وقيل: قاله على جهة الإنابة والخشوع له عند ظهور الآيات، وقد أجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية[٣].

---

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، جـ١، ص٢١٤.

(٢) ابن القيم، بدائع الفوائد، جـ١، ص٩٦.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ٧، ص٢٧٩.

هكـــذا يثبـــت أهل السنة والجماعة مسألة رؤية المؤمنين لربهم ســـبحانه وتعـــالى بأدلة نقلية وعقلية فمن الأدلة النقلية قول الله تعالى: ﴿**للذيـــن أحســـنوا الحسنى وزيادة**﴾ [يونس:٢٦]. وقد فسر كثير من العـــلماء الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالى، وقال بذلك كـــثير مـــن الصحابة والتابعين. فقد قال أبو بكر الصديق وحذيفة بن اليمان —رضي الله عنهما- في تفسير الآية، (الحسنى الجنة، وأن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى)[١].

وقال الحسن البصري في قول الله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربهـــا ناظـــرة**﴾ [القيامة:٢٢،٢٣]. قال الناضرة: الحسنة، حسنها الله بالـــنظر إلى ربها عز وجل، وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى ربها جل جلاله[٢].

ومن الأدلة النقلية أحاديث رسول الله ﷺ التي تؤكد إثبات رؤية المؤمـــنين لربهم يوم القيامة، ففي الحديث الصحيح الذي رواهُ البخاري ومسلم، حديث أبي هريرة —رضي الله عنه- أن ناسًا، قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضامون في رؤيـــة القمر ليلة البدر؟ قالوا**: لا يا رسول الله، **قال: فإنكم تروونه كذلك**».

وحديـــث جرير بن عبد الله البجلي —رضي الله عنه- قال: كنا جلوسًـــا مـــع النبي ﷺ، فنظرَ إلى القمر ليلة أربع عشرة. فقال:«**إنكم ســـترونَ ربكـــم عـــيانًا كما ترونَ هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن**

---

(١) عـــبد الله بـــن أحمـــد بن حنبل، السنة، تحقيق محمد سعيد القحطاني، رمادى للنشر، الدمام المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـــ، برقم ٤٧١.

(٢) المرجع السابق، برقم ٤٧٩.

استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا» [رواهُ البخاري].

وحديث صهيب –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا دخل أهل الجنة، يقول الله عز وجل: تريدونَ شيئًا أزيدكم، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا. ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار. قال: فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»** [مسلم].

ولقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة وفقهائهم على أن الله تعالى سيراهُ أهل الإيمان يوم القيامة، وقال بذلك الإمام مالك وأبي حنيفة النعمان، والشافعي، والإمام أحمد.

وقد قال الإمام الآجري في كتابه "الشريعة": وأمّا أهلُ السعادة منهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، فآمنوا بالله وحده، ولم يشركوا به شيئًا، وصدقوا القول بالفعل، فأماتهم على ذلك فهم في قبورهم يُنعمون، وعند المحشر يبشرون وفي الموقف إلى الله عز وجل بأعينهم ينظرون، وإلى الجنة بعد ذلك وافدون، وفي نعيمها يتفكهون، وللحور العين معانقون، والولدان لهم يخدمون، وفي جوار مولاهم الكريم أبدًا حامدون، ولربهم عز وجل في داره زائرون وبالنظر إلى وجهه الكريم يتلذذون، وله مكلمون، وبالتحية لهم من الله عز وجل والسلام منه عليهم يكرمون، ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1].

---

(١) الآجري، الشريعة، ص٢٥١.

أمَّـــا عن الأدلة العقلية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة فقد ذكر الإمام أبي الحسن الأشعري في كتابه الإبانة دليل الوجود، فإن وجود الله عز وجل دليل على جواز رؤيته لأن الذي لا يجوزُ أن يُرى هو المعدوم، فلمّا كان الله عز وجل موجودًا مثبتًا كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل.